

تفسير ابن كثير

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ^ط فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ^ج إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا
أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ^ج وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ^ج بِئْسَ الشَّرَابُ
وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا

قول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للناس : هذا الذي جئكم
به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)
هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ، ولهذا قال : (إنا أعتدنا) أي : أَرصدنا (للظالمين)
وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه (نارا أحاط بهم سرادقها) أي : سورها . قال الإمام
أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم عن أبي
سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لسرادق النار أربعة جدر
، كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة " . وأخرجه الترمذي في " صفة النار " وابن جرير
في تفسيره ، من حديث دراج أبي السَّمح به [وقال ابن جريج : قال ابن عباس : (أحاط
بهم سرادقها) قال : حائط من نار] وقال ابن جرير : حدثني الحسين بن نصر والعباس بن

محمد قالا : حدثنا أبو عاصم ، عن عبد الله بن أمية ، حدثني محمد بن حبي بن يعلى ،
عن صفوان بن يعلى ، عن يعلى بن أمية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "
البحر هو جهنم " قال : فقيل له : [كيف ذلك ؟] فتلا هذه الآية - أو : قرأ هذه الآية - :
(نارا أحاط بهم سرادقها) ثم قال : " والله لا أدخلها أبدا أو : ما دمت حيا - ولا
تصيبني منها قطرة " . وقوله : (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب
وساءت مرتفقا) قال ابن عباس : " المهل " : ماء غليظ مثل دردي الزيت . وقال مجاهد :
هو كالدّم والقبيح . وقال عكرمة : هو الشيء الذي انتهى حره : وقال آخرون : هو كل شيء
أذيب . وقال قتادة : أذاب ابن مسعود شيئا من الذهب في أخدود ، فلما انماع وأزبد قال :
هذا أشبه شيء بالمهل . وقال الضحاك : ماء جهنم أسود ، وهي سوداء وأهلها سود . وهذه
الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر ، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها ، فهو
أسود متنن غليظ حار ؛ ولهذا قال : (يشوي الوجوه) أي : من حره ، إذا أراد الكافر أن
يشربه وقربه من وجهه ، شواه حتى يسقط جلد وجهه فيه ، كما جاء في الحديث الذي
رواه الإمام أحمد بإسناده المتقدم في سرادق النار عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " ماء كالمهل " . قال كعكر الزيت فإذا قربته إليه سقطت

فروة وجهه فيه " وهكذا رواه الترمذي في " صفة النار " من جامعه ، من حديث رشدين

بن سعد عن عمرو بن الحارث ، عن دراج ، به ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث "

رشدين " ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه ، هكذا قال ، وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم

عن حسن الأشيب ، عن ابن لهيعة ، عن دراج ، والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك ،

وبقية بن الوليد ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن بسر ، عن أبي أمامة - رضي الله

عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) [

إبراهيم : 16 ، 17] قال : " يقرب إليه فيتكرهه ، فإذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة

رأسه ، فإذا شربه قطع أمعائه ، يقول الله تعالى : (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي

الوجوه بئس الشراب) . وقال سعيد بن جبیر : إذا جاع أهل النار استغيثوا بشجرة الزقوم ،

فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن مارا مر بهم يعرفهم ، لعرف جلود وجوههم

فيها . ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون . فيغاثون بماء كالمهل ، وهو الذي قد انتهى حره

، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود

ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات [الذميمة] القبيحة : (بئس الشراب

(أي : بئس هذا الشراب كما قال في الآية الأخرى : (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم

([محمد : 15] وقال تعالى : (تسقى من عين آنية) [الغاشية : 5] أي حارة ، كما

قال : (وبين حميم آن) [الرحمن : 44] (وساءت مرتفقا) [أي : وساءت النار]

منزلا ومقيلا ومجتمعا وموضعا للارتفاع كما قال في الآية الأخرى : (إنها ساءت مستقرا

ومقاما) [الفرقان : 66]